

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين..
أما بعد..

قول الله ﷻ في سورة الانفطار: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝١٩﴾.

يوم الدين هو يوم الجزاء والحساب، وسمي هذا اليوم بـ(يوم الدين) لأنه اليوم الذي يُجازى فيه العباد على أعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة] فالحياة الدنيا يوم العمل، والحياة الآخرة يوم الدين أي: يوم الجزاء.

ولهذا قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: ارتحلت الآخرة مُقبله، وارتحلت الدنيا مُدبرة ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، (غداً) أي: اليوم الآخر، (حساب ولا عمل) أي أنه يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، ولهذا سمي اليوم

الآخر بهذا الاسم: (يوم الدين)، ومعنى (يوم الدين): يوم الحساب، ومنه قوله: ﴿إِنَّ الْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الصفات] أي: مجزيون محاسبون، وفي سورة الفاتحة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ أي: مالك يوم الحساب والمجازاة. ومن أسماء ربنا ﷻ الحسنى: (الدَيَّان) أي: المُجَازِي المحاسب.

ففي حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه (المسند ح ١٥٩٨٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةَ عِرَاءٍ بِيْهُمَا» قالوا: وما (بِيْهُمَا) يا رسول الله؟ قال: «أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَظْلَمَةٌ حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ» قالوا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ ﷻ عِرَاءَ حِفَاةَ عُرُلَا بِيْهُمَا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» أي: يجازي ويحاسب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالحسنات والسيئات، والقصاص يكون بالحسنات والسيئات، فيقتص للمظلوم من ظالمه ليس بالدينار والذهب؛ لأن هذه كلها تنتهي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة -يوم الدين- ليس هناك إلا الحسنات والسيئات، فالقصاص يكون بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من حسنات الظالم وإن فويت حسنات الظالم طُرح عليه من سيئات المظلوم كما في

حديث المُفلس قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا ذِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [مسلم (ح ٢٥٨١)].

ولهذا عظم الله ﷻ شأن هذا اليوم وبين هول هذا الخطب بقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ فهذا الاستفهام لبيان هول هذا الأمر وعظم هذا الخطب وكبره وأنه أمر عظيم غاية ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ تَمَلَّكَ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ ثلاث نكرات في سياق النفي، والنكرة إذا جاءت في سياق النفي تفيد العموم، ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾:

﴿نَفْسٌ﴾ أي: مهما عظم قدرها وعلت مكانتها وارتفع شأنها.

﴿لِنَفْسٍ﴾ مهما كانت عزيزة لدى الإنسان حبيبة إلى قلبه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَصَدِيقِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٢٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٧﴾﴾ [عبس].

﴿شَيْئًا﴾ أي: ولو قدرًا يسيرًا، ولا حسنة واحدة، ولا -أيضًا- يقبل أن يتحمل عنه سيئة واحدة ولو كان أعز



يوم الدين

(تأملات في آيات من سورة الانفطار)

كلمة

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظهما الله تعالى



راجعها الشيخ



إليه راجع. فإذا علمت أنك لله عبد وأنتك إليه راجع فاعلم أنه سائلك، وإذا علمت أنه سائلك فأعدّ للمسألة جواباً.

فقال الرجل: وما الحيلة؟ قال: الحيلة يسيرة، أحسن فيما بقي يغفر لك ما قد مضى، فإنك إن أسأت فيما قد بقي أخذت فيما بقي وفيما مضى.

وهذا الذي قاله الفضيل رضي الله عنه جاء في حديث يُرفع إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- أورده الألباني رضي الله عنه في سلسلته الصحيحة (ح ٣٣٨٩): «من أحسن فيما بقي؛ غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي؛ أخذ بما مضى وما بقي».

قد يكون الذي بقي على الإنسان من حياته الدنيا أياماً قلائل، والذي مضى سنون طويلة، فإذا أحسن في أيامه التي بقيت وإن قلت غفر له ما قد مضى وإن كثرت، والله تعالى غفور رحيم جواد كريم ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النُّقْوَىٰ وَاتَّقُوْنَ يَتَّوْلِي الْاَلْبَابِ﴾ [الزمر].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا أجمعين للتوبة النصوح وأن يصلح لنا شأننا كله.

ونسأله تعالى أن لا يخزينا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الناس عنده وأحبهم إليه، لا يقبل ذلك.

﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي:

للملك الديان -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولهذا جاء في حديث آخر [البخاري (ح ٦٥١٩)، مسلم (ح ٢٧٨٧)] يقول: «أنا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ؟» فالأمر يومئذ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وفي ذلك اليوم العظيم يقضي -جلّ وعلا- بين الخلائق، ومن كمال عدله ولطفه ومثته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وحكمته يجيء تعالى بنفسه كما أخبر في سورة الفجر بقوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ذلك اليوم مطوّفة للخلائق، صفوفًا من وراء صفوف، محيطين بالخلائق، فيجيء الربُّ تعالى في ذلك اليوم للقضاء بين الخلائق:

إلى ديّان الدين نمضي

وعند الله تجتمع الخصوم

والعاقل يُعدُّ لذلك اليوم عدته ويستعدُّ لهذا اللقاء ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النُّقْوَىٰ وَاتَّقُوْنَ يَتَّوْلِي الْاَلْبَابِ﴾ [البقرة].

لقي الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالى- رجلاً فقال له: كم بلغت من العمر؟ قال: ستين سنة، قال: أو ما علمت أنك في طريق إلى الله وقد أوشكت أن تبلغ نهايته؟ فقال الرجل: إننا لله وإننا إليه راجعون. قال: أو تعرف تفسيره؟ قال: وما تفسيره؟

قال: (إننا لله) أي أنا لله عبد، (وإننا لله راجعون) أي: أنا